سُورَةُ الجِنِّ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣]

القراءات: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنّا ظننا»، «وأنه كان رجال» قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بفتح الهمزة في المواضع كلها وهي اثنا عشر موضعاً وقرأ أبو جعفر بالفتح في ثلاثة منها وهي «وأنّه تعالى، وأنّه كان يقول، وأنه كان رجال» وقرأ الباقون بالكسر في الجميع.

التوجيه: قال الألوسي: «وَأَنَّهُ تعالى جَدُّرَبْنَا» اختلفوا في قراءة أنّ هذه وما بعدها إلى «وأنّا منا المسلمون» وتلك اثنتا عشرة فقرأها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح الهمزة فيهن ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة: وأنّه تعالى وأنّه كان يقول، وأنّه كان رجال وقرأ الباقون بكسرها في الجميع واتفقوا على الفتح في «أنه استمع» و «أن المساجد» لأن ذلك لا يصح أن يكون من قول الجن بل هو مما أوحي بخلاف الباقي فإنه يصح أن يكون من قولهم ومما أوحي واختلفوا في «أنه لما قام» فقرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة والباقون بفتحها كذا فصّله بعض الأجلة وهو المعول عليه ووجه الكسر في إنّ هذه وما بعدها إلى «وإنا منا المسلمون» ظاهر كالكسر في «إنا سمعنا قرآناً» لظهور عطف الجمل على المحكي بعد القول ووضوح اندراجها تحته وأما وجه الفتح ففيه خفاء ولذا اختلف فيه، فقال الفراء والزجاج والزمخشري هو العطف على محل الجار والمجرور في «آمنا به» كأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنّه تعالى جدربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي. وضعّف مكي العطف على ما في حيز «آمنا» فقال: فيه بُعْدٌ في المعنى لأنهم لم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به ولا أنهم آمنوا بأنه كان رجال إنما حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا ذلك مخبرين عن أنفسهم لأصحابهم وأجيب عن الذاهبين إليه بأن الإيمان والتصديق

يحسن في بعض تلك المعطوفات بلا شبهة فيمضي في البواقي ويحمل على المعنى على حد قوله: وزججن الحواجب والعيونا.

فيُخرَّج على ما خُرِّج عليه أمثاله، فيؤول صدقنا بما يشمل الجميع أو يقدر مع كلٍ ما يناسبه وقال أبو حاتم: هو العطف على نائب فاعل أوحي أعني أنّه استمع كما في أنّ المساجد على أنّ الموحَى عين عبارة الجن بطريقة الحكاية كأنه قيل:«قل أوحي إليّ» كيت وكيت وهذه العبارات وتُعقِّب بأن حكاية عباراتهم تقتضي أن تكون أنّ في كلامهم مفتوحة الهمزة ولا يظهر ذلك إلا أن يكون في كلامهم ما يقتضي الفتح كاسمعوا أو اعلموا أو نخبركم لكنه أسقط وقت الحكاية ولا يظهر لإسقاطه وجه.

وقال ابن جرير: واختلف القراء في قراءة قوله «وأنّهُ تَعالى» فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أُخر بالفتح منها: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾،﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، وكان نافع يكسرها إلا ثلاثة أحرف أحدها ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، والثانية ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ والثالثة ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ ، وأما قرّاء الكوفة غير عاصم فإنهم يفتحون جميع ما في آخر سورة النجم وأول سورة الجن إلا قوله ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾، وقوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ وما بعده إلى آخر السورة، وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ فإنّه كان يفتحها وأما أبو عمرو فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ فإنه كان يفتح هذه وما بعدها، فأما الذين فتحوا جميعها إلا في موضع القول كقوله ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ وقوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ونحو ذلك فإنهم عطفوا أنّ في كل السورة على قوله فآمنا به وآمنا بكل ذلك ففتحوها بوقوع الإيمان عليها وكان الفراء يقول: لا يمنعنك أن تجد الإيمان يقبح في بعض ذلك من الفتح وأن الذي يقبح مع ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارع للإيمان فوجب فتح أنّ كما قالت العرب:

إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يَوْمًا ... وزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيُونا

فنصب العيون لاتباعها الحواجب وهي لا تزجج وإنما تكحل فأضمر لها الكحل كذلك يضمر في الموضع الذي لا يحسن فيه آمنا يضمر: صدقنا وشهدنا قال: ويقول النصب قوله ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ وينبغي لمن كسر أن يحذف «أن» من «لو» لأن «أن» إذا خففت لم تكن حكايةً ألا ترى أنك تقول: أقول لو فعلت لفعلت ولا تدخل «أن» وأما الذين كسروها كلهم وهم في ذلك يقولون ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ فكأنهم أضمروا يمينا مع «لو» وقطعوها عن النسق على أول الكلام فقالوا: والله أن لو استقاموا قال: والعرب تدخل «أن» في هذا الموضع مع اليمين وتحذفها قال الشاعر:

فـأُقْـسِـمُ لَـوْ شـيءٌ أتـانـا رَسُـولُـه سِـوَاكَ وَ لَكِنِ لم نجدْلَكَ مَدْفَعًا

قالوا وأنشدنا آخر:

أمَـا واللهِ أنْ لـوْ كُـنْـتَ حـرا ومَـا بـالـحـر أنْـتَ وَ لا العَتِيقِ

وأدخل «أن» من كسرها كلها وأمّا من نصب وأنَّ المساجدَ الله، فإنه خص ذلك بالوحي وجعل «وأن لَوْ» مضمرة فيها اليمين على ما وصفت وأما نافع فإن ما فتح من ذلك فإنّه رده على قوله «أُوحِيَ إليّ» وما كسره فإنه جعله من قول الجنّ وأحب ذلك إليّ أن أقرأ به الفتح فيما كان وحياً والكسر فيما كان من قول الجن لأن ذلك أفصحها في العربية وأبينها في المعنى وإن كان للقراءات الأُخر وجوه غير مدفوع صحتها.

وقال أبو حيان: وقرأ الحرميان والأخوان: بفتح الهمزة من قوله: «وأنه تعالى» وما بعده وهي اثنتا عشرة آية آخرها «وأنا المسلمون» وباقي السبعة بالكسر. فأما الكسر فواضح لأنها معطوفات على قوله: «إنا سمعنا» فهي داخلة في معمول القول. وأما الفتح فقال أبو حاتم: هو على «أوحي» فهو كله في موضع رفع على ما لم يسمّ فاعله. انتهى. وهذا لا يصح لأن من المعطوفات ما لا يصح دخوله تحت «أوحي» وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله: «وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع» ألا ترى أنه لا يلائم «أوحي إليّ» «أنا كنا نقعد منها مقاعد» وكذلك باقيها؟ وخرجت قراءة الفتح على أن تلك كلها معطوفة

على الضمير المجرور في به من قوله: «فآمنا به»: أي وبأنه وكذلك باقيها وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح وقد تقدم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله: «وكفر به والمسجد الحرام» وقال مكي: هو أجود في «أنّ» منه في غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع «أَنّ». وقال الزجاج: وجهه أن يكون محمولاً على آمنا به لأنه معناه: صدقناه وعلمناه فيكون المعنى: فآمنا به أنه تعالى جدُّ ربنا وسبقه إلى نحوه الفراء قال: فتحت «أنّ» لوقوع الإيمان عليها وأنت تجد الإيمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنعك ذلك من إمضائهن على الفتح فإنه يحسن فيه ما يوجب فتح «أَنّ» نحو: صدقنا وشهدنا. وأشار الفراء إلى أنّ بعض ما فتح لا يناسب تسليط آمنا عليه نحو قوله: «وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً» وتبعهما الزمخشري فقال: ومن فتح كلهن فعطفاً على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدُّ ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي انتهى. ولم يفطن لما تفطن له الفراء من أن بعضها لا يحسن أن يعمل فيه آمنا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن:٥]

القراءات: «تقول» قرأ يعقوب بفتح القاف وتشديد الواو وقرأ الباقون بضم القاف.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «تقول» بضم القاف وسكون الواو. وقرأه يعقوب بفتح القاف والواو مشددة من التقول وهو نسبة كلام إلى من لم يقله وهو في معنى الكذب، وأصله تتقول بتائين، فعلى هذه القراءة يكون «كذبا» مصدرًا مؤكدًا لفعل «تقول» لأنه مرادفه.

قلتُ: فالقراءتان تدلان على حرمة القول الكاذب على الله ورسوله وحرمة نسبة أقوال إلى الله ورسوله لم يقلها، وكلاهما لم تتوقع الجنّ صدورهما من الجنّ والإنس لعظيم فُحش الأمرين جميعًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧]

القراءات: «يسلكه» قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بياء الغيبة وقرأ الباقون بنون العظمة على الالتفات.

التوجيه: قراءة «نسلكه» بالنون تفيد عظم العذاب، فإنّ تعذيب العظيم عظيم، فالعذاب يتناسب مع القدرة والقوة، وقراءة الياء «يسلكه» تفيد بيان أنّ مرجع ذلك إلى الله وحده لا شريك له، يعذب من يشاء كما يرحم من يشاء

فائدة: قال الرازي: الأصل أن يقال نسلكه في عذاب كقوله تعالى ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٤٢] ، إلاّ أنّ هذه العبارة – أي نسلكه عذاباً دون ذكر حرف الجر– أيضًا مستقيمة لوجهين:

(أ) أن يكون التقدير نسلكه في عذاب، ثمّ حذف الجار وأوصل الفعل ، كقوله تعالى ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

(ب) أن يكون معنى نسلكه أي ندخله، يقال: سلكه وأسلكه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]

القراءات: «وأنه لما قام» قرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة والباقون بفتحها

التوجيه: قال الرازي: اعلم أن عبد الله هو النبي ﷺ في قول الجميع، ثمّ قال الواحدى إن هذا من كلام الجن لا من جملة الموحَى لأن الرسول لا يليق أن يحكي عن نفسه بلفظ المغايبة وهذا غير بعيد كما في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

وَفْدًا ﴾ [مريم:٨٥]. والأكثرون على أنه من جملة الموحى إذ لو كان من كلام الجن لكان الكلام مختلاً بعيداً عن سلامة النظم.

وفائدة هذا الاختلاف أن من جعله من جملة الموحَى فتح الهمزة في أن ومن جعله من كلام الجن كسرها.ونحن نفسر الآية على القولين: أما على قول من قال إنه من جملة الموحى، فالضمير في قوله «كادوا» إلى من يعود؟ فيه ثلاثة أوجه. **أحدها-** إلى الجن ومعنى قام يدعوه أي قام يعبد يريد قيامه لصلاة الفجر حين أتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يكونون عليه لبداً أي يزدحمون عليه متراكمين تعجباً مما رأوْا عبادته واقتداء أصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً وإعجاباً بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا من مثله وسمعوا ما لم يسمعوا مثله.

الثاني- لما قدم رسول الله يعبد الله وحده مخالفاً للمشركين في عبادتهم الأوثان كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه.

والثالث- وهو قول قتادة لما قام عبد الله تلبدت الإنس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله فأبى الله إلا أن ينصره على من عاداه، وأما على قول من قال إنه من كلام الجن فالوجهان أيضاً عائدان فيه.

وقال الألوسي: قرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة، «وإنه» وحمل على أن الجملة استئنافية من كلامه عزَّ وجلَّ وجوز أن تكون من كلام الجن معطوفة على جملة «أنا سمعنا» حكوا فيها لقومهم لما رجعوا إليهم ما رأوا من صلاته ﷺ وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به وحكي ذلك عن ابن جبير وجُوِّز نحو هذا على قراءة الفتح. أو بتقدير ونخبركم بأنه أو نحو هذا، وفي الكشف: الوجه على تقدير أن يكون «وأن المساجد» من جملة الموحَى أن يكون «فلا تدعوا» خطاباً للجنّ محكيًا إن جعل قوله تعالى «وإنه لما قام» على قراءة الكسر من مقول الجن لئلا ينفك النظم لو جُعل ابتداء قصة ووحيًا آخر منقطعا عن حكاية الجن وكذلك لو جعل ضمير «كادوا» للجن على قراءة الفتح أيضاً والأصل

أن المساجد لله فلا تدعوا أيها الجن مع الله أحدًا فقيل: قل يا محمد لمشركي مكة «أوحي إليّ» كذا وإذا كان كذلك فيجيء في ضمن الحكاية إثبات هذا الحكم بالنسبة إلى المخاطبين أيضاً لاتحاد العلة وأما لو جعل خطابًا عامًا فالوجه أن يكون ضمير «كادوا» راجعاً إلى المشركين أو إلى الجن والإنس وأن يكون على قراءة الكسر جملة استئنافية ابتداء قصة منه جل شأنه في الإخبار عن حال رسول الله ﷺ وهو تمهيد لما يأتي من بعد وتوكيد لما ذكر من قبل فكأنه قيل: قل لمشركي مكة ما كان من حديث الجن وإيمان بعضهم وكفر آخرين منهم ليكون حكاية ذلك لطفًا لهم في الانتهاء عما كانوا فيه وحثًا على الإيمان ثم قيل: «وأنه لما قام عبد الله يدعوه» ويوحده كاد الفريقان من كفرة الجن والإنس «يكونون عليه لبداً» دلالة على عدم ارتداعهم مع هذه الدلائل الباهرة والآيات النيرة وما أحسن التقابل بين قوله تعالى: «وإن المساجد» وبين هذا القول كأنهم نُهُوا كلهم عن الإشراك ودُعوا إلى التوحيد فقابلوا ذلك بعداوة من يوحد الله سبحانه ويدعوه ولم يرضوا وهذا من خواص الكتاب الكريم وبديع أسلوبه إذا أخذ في قصة غِبَّ قصة جعلهما متناصفتين فيما سيق له الكلام وزاد عليه التآخي بينهما في تناسب خاتمة الأولى وفاتحة الثانية ولعل هذا الوجه من الوجاهة بمكان وأما لو فسر بما حكي عن الخليل بتقدير: ولأن المساجد لله فلا تدعوا الخ فالوجه أن يكون استطرادًا ذكر عقيب وعيد المعرض

وقال ابن عاشور: فكسر الهمزة على عطف الجملة على جملة «أوحي إليّ» والتقدير: وقل إنّه لما قام عبد الله يدعوه فإنّ همزة «إن» إذا وقعت في محكي من القول تكسر ولا يليق أن يجعل من حكاية مقالة الجن لأن ذلك قد انقضى وتباعد ونقل الكلام إلى أغراض أخرى ابتداء من قوله «وأن المساجد لله». وأما الفتح فعلى اعتباره معطوفًا على جملة «أنّه استمع نفر» أي وأوحي إلى أنه لما قام عبد الله أي الله إليّ اقتراب المشركين من أن يكونوا لبدًا على عبد الله لما قام يدعو ربه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٠]

القراءات: «قل إنما» قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر بضم القاف وإسكان اللام. وقرأ الباقون «قال» بفتح القاف وألف بعدها وفتح اللام.

التوجيه: قال الرازي: قرأ العامة «قال» على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة: «قل» حتى يكون نظيراً لما بعده وهو قوله تعالى «قُل إنّي لا أملك..... قل إني لن يجيرني»، قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ «إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا»، فأنزل الله ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي ﴾، وهذا حجة لعاصم وحمزة. ومن قرأ «قال» حمل ذلك على أن القوم لما قالوا ذلك: أجابهم النبي ﷺ بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي ﴾ فحكى الله ذلك عنه بقوله تعالى «قال». أو يكون ذلك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «قال» بصيغة المضي وقرأه حمزة وعاصم وأبو جعفر «قل» بدون ألف على صيغة الأمر فتكون الجملة استئنافا والتقدير: أوحي إليّ أنه لما قام عبد الله إلى آخره قل إنما أدعو ربي فهو من تمام ما أوحي به إليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن: ٢٨]

القراءات: «ليعلم» قرأ رويس بضم الياء وقرأ الباقون بفتح الياء

التوجيه: قراءة ليعلم بفتح الياء معناها ليعلم الله علم وقوعٍ بعد أن علمه تقديراً وكتابةً، وعلى أساس علم الوقوع يحاسب الله عباده، وقراءة «ليعلم» بضم الياء تدل على العموم، وتفيد أنّ ذلك يظهر لكل أحدٍ، وذلك لمبالغة الرسل في النصح لقومهم واجتهادهم في تبليغ الرسائل والشرائع على أكمل وجه.

❁ ❁ ❁